قمة عدم الانحياز ...

لم يكن مجرد انعقاد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز في العاصمة الكوبية « هافانا » (٢ ــ ١٩٧٩/٩/٩) ، امرا يمكن ان يتطيقه كل دول المعسكر الامبريالي، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية اكثر من غيرها .

هذا هو الانطباع الاكيد الذي يخرج به المرء من متابعة كل تحليلات الغرب ، ومواقفه ازاء هذا المؤتمر .

والمحاولات التي بذاتها دول كثيرة ــ حتى من داخل حركة عدم الانحياز ــ لمنع انعقاد المؤتمر في عاصمة كوبا فور موافقة غالبية دول الحركة على عقده فيها ... وجدت امتدادا لها في مواقف عديدة ناصبت كوبا ، وكل الدول الاشتراكية (باستثناء يوغوسلافيا) العداء ؛ فيما غفلت عن حقيقة وجود دول كثيرة لا يمكن وصف علاقتها بالعالم الراسمالي الغربي بأقل من كونها علاقة تحالف غير رسمي .

ولكن كان لا بد للدول الغربية ان يكون لها بطل غير مدان بالتحالف غير الرسمي مع الغرب داخل الحركة ، وكان لا بد ان يكون هذا البطل من اصحاب الوزن الثقيل في التاثير على حركة عدم الانحياز ... فاختارت هذه الدول ان تتعلق حول الرئيس اليوغوسلافي تيتو ، المؤسس الوحيد الباقي على قيد الحياة من مؤسسي الحركة الرئيسية : جمال عبد الناصر ، نهرو ، سوكارنو ، نكروما ، ومكاريوس .

وهكذا بدا الغرب حملته على مؤتمر قمة عدم الانحياز لتقسيم صفوفه ــ على الاقل الى معسكرين ــ بهدف افشاله على الاقل ، وتحطيم الحركة كلية على الاكثر . وعكس الاعلام الغربي في معالجته للمؤتمر قبل وقت طويل من بدايته رغبة في تبني مواقف وآراء واتجاهات تنسب الى الرئيس اليوغوسلافي تيتو ... وتصور على انها تتناقض الى حد التطاحن مع مواقف وآراء واتجاهات الرئيس الكوبي فيديل كاسترو .

وقبل نحو شهرين من انعقاد قمة هافانا كتبت صحيفة « ديلي تلغراف » البريطانية وهي واحدة من اعتى الصحف الغربية رجعية ، وخضوعا للتوجيهات الامبريالية الاميركية ، تقول (١٧/٧/٧٩) « يستضيف الدكتور فيديل كاسترو في العاصمة الكوبية هافانا في ايلول القادم المؤتمر السادس لرؤساء دول وحكومات عدم الانحياز . وتبدو هذه العملية كانها ازمة كئيبة ... وربما يكون للمؤتمر « تاثير تعليمي » هام لو استطاع ان يلقي ضوءا واضحا على الخلافات العميقة بين ما يسمى بمعسكر عدم الانحياز حيال تفسير كلمة عدم الانحياز ... ونظرا لأن كوبا لا تعتبر حقيقة من دول عدم الانحياز ... أليس من الضروري محاسبة موسكو مباشرة واعتبارها مسؤولة عن دعم كاسترو العالمي للارهاب والثورات العنيفة ... وتبدو الآن المبادىء الاساسية للفكرة عدم الانحياز اشبه بالمبادىء المبتذلة في وقت وافقت فيه دول الحركة على حضور المؤتمر في هافانا » .

هذا التناول لم يقتصر بطبيعة الحال على صحيفة بريطانية ، انما شمل الاعلام الغربي كله ، ولم يكن يعكس مجرد « اماني » « الغرب » ، بل خططه بالنسبة لهذه القمة . الامر الذي اكدته الحقيقة التي كشفها الرئيس كاسترو في خطابه الافتتاحي امام المؤتمر (٩/٣) من ان الحكومة الاميركية استطاعت ان تحصل على نسخة من مسودة مشروع البيان الختامي لقمة هافانا ، وهي المسودة التي وضعتها كوبا ــ باعتبارها الدولة المضيفة ووفقا للعرف المتبع ــ وقامت بحملة اتصالات دبلوماسية محمومة لتعديلها .

وهكذا نجد ان الحضور الاميركي كان ماثلا بصورة خطيرة منذ البداية . وربما اكثر مما كان في أي من المؤتمرات الخمسة السابقة لقمة عدم الانحياز . وبطبيعة الحال لم يكن مجرد انعقاد المؤتمر في هافانا ــ وما يمثله ذلك من دعم للنظام الثوري الاشتراكي الكوبي بزعامة فيديل كاسترو ، هو كل ما يثير الولايات المتحدة ضد المؤتمر والحركة . انما تتعدى المسالة هذا النطاق الى طبيعة القضايا المعروضة ، وتوقيت عرضها على قمة هافانا .

فالولايات المتحدة تعرف منذ البداية ، وقبلها ، ان سياساتها على نطاق عالمي ستوضع على مشرحة مؤتمر عدم الانحياز ... وان في مقدمة هذه السياسات سياستها في الشرق الاوسط التي اصبحت ترتبط باسم « كمب ديفيد » والاتفاقات التي تمخضت عنها ، والمعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية وما تسببت فيه في هذه المنطقة . وهذا بالفعل ما حدث . لقد تحولت قمة هافانا الى قمة من اجل مناقشة القضية الفلسطينية ودعم هذه القضية والتكتل وراءها من جانب ٩٤ دولة تمثل اكثر بكثير من ثلثي اعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة .